

في الدين والحياة

مسلسل قيامة أرطغرل

DİRİLİŞ
ERTUĞRUL

تأسيس لنهضة معاصرة

وثورة في الدراما التركية المتقهقرة

الجزء الأول: (مقدمة هامة وتمهيد)

بقلم

محمد محيي الدين حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني

نزيل المدينة المنورة

عندما لا يكتب الأسود حكاياتهم....

فإنّنا نضطر لسماع حكايا الصيادين البطولية !!!

لهذا سيستمرُّ الأسودُ في كتابة حكاياتهم...[1]

---

(1) هذا مثلٌ أفريقي ذكره الرئيس التركي السيد رجب طيب أردوغان في معرض دفاعه عن المسلسل والمادة التي تعرض فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

هذا المقال الذي أتناوله ذو لون مختلف عن سائر المقالات التي تصدَّيت للكتابة فيها حتى اليوم، لا سيما وأنَّ الناس لم يعتادوا على مقالات في النقد الدرامي من أولئكم الذين تخصصوا في المجال الشرعي، فهي انعطافة جديدة أعتزُّ بها، وأتمنى من الله التوفيق في إطارها.

✍ الباعثُ لي على الكتابة في هذا الموضوع هو أنَّ "مسلسل قيامة أرطغرل" ذو ارتباط وثيق بنهضة أمة الإسلام في فترة مضت من تاريخ أمتنا العريق، وذو إطلالة تفاؤلية وتربوية في نفوس مستمعيه رجاء أنْ تشهد أمتنا في زماننا الحاضر نهضة مماثلة تناسب خصوصية العصر الذي نعيش فيه؛ لا سيما وأنَّ المسلسل يثبت لنا أنَّ القضية الإسلامية هي قضية عالمية سيسأل عنها كل مسلم، تتجاوز حدود الفرد وعائلته وقبيلته ومنطقته وقطره إلى أنحاء العالم وأرجائه، كما يثبت لنا أنَّ نهضة الأمة تحتاج إلى قيادة

رشيدة تحمل همَّ الأمة وتقدِّمه على كل شيء، وبالتالي فليس بالضرورة قيام نهضة المسلمين بالعَدد والعُدد، فقد بدأت قبيلة أرطغرل من قبيلة صغيرة وثنية لا يؤبه لها، ولا تتجاوز الأربعمائة فارس إلى قبيلة مسلمة تقف على ثغرٍ من ثغور الإسلام في مقابل بيزنطة، فإذا بها تتحوَّل مع الأيام إلى قوة ضاربة تحكم العالم تحت راية الإسلام، فكم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ، وهو ما دفعني بقوة للإبحار في عمق هذا الاتجاه، لا سيما وأنَّ المسلسل ذو صبغة تاريخية في ظاهره، حيث كان لي ولا يزال بفضل الله تعالى نشاطٌ حثيث في

المجال التاريخي الذي هو عالم رحب لارتباطه بأيِّ نهضة قادمة لأمتنا؛ بسبب خضوع التاريخ لسنن الله تعالى في صحوة الشعوب وقيامها، أو استدراج الأمم وانهيارها.

◄ وإنّ مما شجعني على الخوض في هذا المضمار تلك الدعوة الكريمة التي تقدَّم بها أحد أهل العلم والفضل من أبناء الجالية السورية المقيمين في الأردن، حين حثَّني فيها بقوة لأدلي بدلوي في هذا الحدث الهام، مبرِّراً طلبه بأنَّه ما ينبغي أن يمر بالأمة هذا المنعطف الهام المرتبط بتفاعل وصحوة الجماهير الإسلامية دون

التعريج عليه ،و التعقيب على أحداثه، والاستفادة من تجربته.

هذا وقد توسَّم بي الأخ الكريم خيراً _بارك الله به_ حين دعاني وأقنعني باقتحام هذا المعترك الجديد، لا سيما أنه أدرك موافقة البحث لما لديّ من ميلٍ وطموح وغِيرة على الأمة، فلما انشرح صدري للكتابة فيه، بدأت بتسجيل ملحوظاتي على المسلسل الواحدة تلو الأخرى إلى أن اجتمع لديَّ مادة تستحق الدراسة والنظر، ومن ثَمّ انتظرت فسحة من الوقت تكفي لتناول الموضوع بكل عمق وشفافية، راجياً المولى _عز

وجل _أن يجعل فيه النفع لأمتي التي أصبوا لها نهضة وقيامة عتيدة ومنيعة أعلى شأواً، وأرسخ جذوراً من قيامة أرطغرل التي كانت توطئة سليمة لولادة دولة الخلافة العثمانية الميمونة، وما ذلك على الله بعزيز إنْ نحن أخذنا بسنة الله تعالى في هذا الوجود، فإنَّ سنَّته سبحانه لا تحابي أحداً أبداً، لا بل إنَّ عودة سيادة أمة الإسلام هي وعد الله لنا، وربنا لا يخلف وعده أبداً.

وبناء على هذه النية والقصد والانشراح والأمل والحض فقد شرعت في الكتابة مستعيناً بالله عز وجل، فقلت:

منذ سقوط الخلافة العثمانية والدراما التركية تعمل على تشويه التاريخ الإسلامي عامة والعثماني خاصة، وتصرّ على تقديمه للجماهير بصورة ممجوجة ومغايرة للحقيقة، بل وغير لائقة، وذلك بهدف الحيلولة دون عودة الخلافة الإسلامية إلى مسرح الأحداث في العالم من جديد ! وفي هذا السياق جاء لاحقاً المشروع الداعشي الذي يهدف إلى تشويه المشروع الإسلامي، رجاء أن تقلوه الحاضنة الشعبية وتنبذه بقوة، وتعرض عنه، فينهار بانهياره ركيزة من ركائز وجوده.

إنَّ رحلة مائة عام من التزوير والابتذال والتشويه

اختزلها لنا بكل إسفاف "مسلسل حريم السلطان" الذي كان القشَّة التي قسمت ظهر البعير في فترة نهضة تركيا الحديثة حين تناول المسلسل سلطاناً لم يشهد له التاريخ التركي والإسلامي نظيراً له في قوّته وسطوته، وفتوحاته، ومساحة الأرض التي امتدَّ رواق سلطانه عليها، وطبيعة الإنجازات التي حققها في سنيّ حكمه حين بسط سلطة الخلافة الإسلامية على القارات الثلاث التي كانت معروفة آنذاك وهي " آسيا وأفريقيا وأوربا"، وحين صار البحر الأبيض المتوسط ابتداء من عهده بحيرة إسلامية مدة ثلاثة قرون متتالية، وحين

صارت أثينا وبلغراد وبودابست وبوخارست وصوفيا وردوس والكثير من حواضر العالم المسيحي تنعم بالأمن والأمان وحرية العقيدة والكلمة جنباً إلى جنب مع حواضر العالم الإسلامي المعتادة من نحو المدينة المنورة ومكة المكرمة والقدس الشريف ودمشق الفيحاء وحلب الشهباء وتونس الخضراء، والقاهرة العامرة، وبغداد عاصمة الرشيد المزدهرة، وتبريز عنوان الأناقة والصناعة المتحضرة، حتى صار المسلمون يلقبونه بـ"سليمان القانوني" بينما لقبه الغربيون في أدبياتهم بـ"سليمان العظيم"، وحتى قال

عنه المؤرخ الألماني الشهير هالمر: " كان هذا السلطان أشدَّ خطراً علينا من صلاح الدين".

لقد استفز ذاك المسلسل المبتذل الغيورين على إسلامهم وتاريخهم من الأتراك، الحريصين على نهضة أمتهم _وما أكثرهم في تركيا_، فتداعى بعض هؤلاء إلى كتابة وتنفيذ مسلسل يرد على الكذب والافتراء والتشويه والابتذال التاريخي والأخلاقي الذي جسدته الدراما التركية التاريخية الحديثة، والتي اختتمت رحلة جرائم تزوير قرن من الزمان بما أطلقوا عليه حينئذٍ "مسلسل حريم السلطان" أو" مسلسل

القرن العظيم"!.

إنَّ المسلسل الذي أَزْمَعَ هؤلاء الغيورون على تنفيذه ردًّاً على تلك الاستفزازات التاريخية غير المسئولة _التي تمسّ سمعة القوم والأمة والعقيدة _ سعى روّاده لأن يكون في منحىً حضاري راقٍ بعيدًا عن ردود الأفعال المتشنجة التي تتخذ من العنف مظهراً بارزاً لها وفق الإيقاع الذي اعتدنا_وبكل أسف_ أن نراه في مجتمعاتنا في الحقبة الأخيرة حين يتقدم الرُّوَيْبِضَة من أدعياء الثقافة و"أرغوزات الغرب"فيسخر من تاريخنا أو إسلامنا بتصريح صحفي

أو مقابلة تلفزيونية أو مسلسل هابط، ومن ثم ينسحب هؤلاء من الساحة ليتفرّغوا لرصد ردود الأفعال على ابتذالهم من قبل الشارع المسلم الغيور _الذي لم تقتلعه من جذوره الإسلامية مائة سنة من التغريب والتزييف_ ومن ثم يتم الهجوم من قبلهم على المشروع الإسلامي من خلال تسليط الأضواء على ردود الأفعال غير المدروسة التي يستدرجنا إليها ويوقعنا بفخِّها هؤلاء الخبثاء، ومن ثم يعاودون الكرة بالانقضاض علينا من خلال تشويه نشاطاتنا الإسلامية والتشكيك بمقاصدنا الشرعية؛ لتشويش

الصورة عند حاضنتنا الشعبية التي تتبنَّى تلك النشاطات!.

أما في تركيا الحديثة فالغيورون لم يتركوا لعواطفهم مساحة تتحكم في سلوكهم بصورة غير منضبطة، وإنما جعلوا إسلامهم وعقلهم وتجربتهم هي التي تتحكم في طبيعة تصدِّيهم لمستفزّيهم والمسيئين لتاريخهم وعقيدتهم ورجالاتهم وثوابتهم، فكان الرد الهادئ المتزن والقاصم صفعة حقيقية في وجه هذا النوع من الدراما ومن كان يقف وراءها خلال مائة عام خلت، حين لم يسمحوا لهم بأن يستدرجوهم إلى ردود أفعال

غير محسوبة العواقب، وحين قاموا بإنتاج مسلسل يعرّف بحقيقة التاريخ الإسلامي المجيد ضُخَّتْ فيه كل التقنيات الراقية الحديثة في سبيل تقديمه بأبهى حلة حتى تجاوزت نسبة المشاهدة فيه الخمسة والستين مليوناً، وهي النسبة التي يتوقع لها أن تتجاوز المائتي مليون بعد انطلاق الدبلجة باللغة العربية التي أشرفت عليها دولة قطر، لا بل هو ما صرَّحت به وكالة الأناضول من أنَّ المشاهدة العربية للنسخة المدبلجة قد تجاوزت المشاهدة التركية للنسخة الأصلية وبلغت سقف المائتي مليون مشاهدة، وهو ما يعني أنَّ تلك

النسبة ستتضاعف بعد أن يتم تصديره إلى العالم كله، وبالعديد من اللغات العالمية بالرغم من الإعراض المتكرر والمريب من قبل إمبراطوريات الأقنية العربية ذات الصلة الوثيقة بتبني المسلسلات التركية والمكسيكية على الدوام، وهي التي فاجأتنا بإعراضها عن بث المسلسل لمّا أدركت أنّه لا يحقق لها طموحاتها في هدم الصرح الأخلاقي لأمتنا، وتشويه صورة التاريخ التركي المجيد الذي يمتد عمره في خدمة الإسلام والمسلمين زمناً يربو عن ثلثي التاريخ الإسلامي.

وبهذا فإنَّ المسلسل لم ينل القَبول عند هؤلاء المشبوهين، بالرغم من أنَّ القائمين على تلك الأقنية من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، لكنهم في حقيقة الأمر ليسوا منا؛ لأنهم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها على نحو ما جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه لنا البخاري في صحيحه.

☜"مسلسل قيامة أرطغرل" يقال إنَّ "حزب العدالة والتنمية التركي" هو الذي يقف وراءه، أو يدعمه، أو على أقل تقدير يؤيده ويبارك خطة العمل فيه بدليل

زيارة الرئيس التركي وعائلته لبعض مواقع التصوير، وكذا رئيس وزرائه السابق السيد"أحمد داوود أوغلو" ، وبدليل دعوة الرئيس التركي أردوغان لكبار شخصيات المسلسل إلى مناسبات رسمية، وتوجيه الخطاب لهم في تلك المناسبات مباركةً وتشجيعاً أمام الجماهير وأمام عدسات المصوّرين، وبدليل تكريم كبار شخصيات المسلسل وفي مقدمتهم "صاحب شخصية الغازي أرطغرل" "السيد أنجين ألتان"، وبدليل استدعاء الرئيس أردوغان لشخصيات من أبرز أبطال المسلسل من نحو الغازي "تورغوت ألب" ، والغازي

بامسي" لتقديم عروض بلباس المحاربين المجاهدين ليشرحوا للجماهير الأبعاد الحضارية لفتح الأتراك للقسطنطينية، وذلك في احتفالية رسمية يحضرها أردوغان وأعضاء حزبه وأركان دولته وجماهير شعبه بمناسبة مرور (٥٦٣) عاماً على فتح القسطنطينية، وهي التي صارت تعرف منذ ذلك الوقت بـ "إسلام بول" ، أي: مدينة الإسلام، ثم مع الوقت تم تصحيف الكلمة إلى استانبول.

إنَّ الردّ التركي على رحلة التزوير والتشويه والابتذال في الدراما التركية التي امتدت عقوداً

طويلة، يعدّ ردّاً متحضراً، وهو ما يتجلّى لنا بوضوح في "مسلسل قيامة أرطغرل" الذي ضخت فيه أموال وتقنيات وإمكانيات، والذي ضُمِّنت حلقاته كمّاً هائلاً من القيم العليا والرسائل الإسلامية والأخلاقية والتاريخية والتربوية والسياسية والإصلاحية الريادية المتعددة، وفي وقت واحد، حيث ضمّنه صانعوه خطاباً حضارياً راقياً بتوجيه غير مباشر للجماهير، وحيث تمكن من أن يؤدي ذلك كله دفعة واحدة، كما تمكن من أن يحقق نجاحاً باهراً باكتسابه ثقة الجماهير العربية والتركية على حد سواء.

إنَّ ذلك الحدث يثبت لنا أهمية الإعلام في هذا العصر، بعد أن بات يعمل على تشكيل العقول وتركيب التصورات في الكثير من القضايا، وهو المعنى الذي أشار إليه أحد كبار الكتاب الغربيين في قوله: "من يتحكم في الإعلام يتحكم في العقول".

وقد تناول الدكتور علي بن حمزة العمري في معرض حديثه عن المسلسل، وكيف أنّه كسر به مسيرة أربعين سنة من مقاطعاته للمسلسلات بالرغم من أنّه محسوب على صفوف الإعلاميين وخبراء الإنتاج بسبب انشغالاته وأولويَّات اهتماماته وطبيعة انفعالاته فضلاً

عن المناظر الخادشة لجوهر القلب، وفي هذا الإطار يحدثنا الأستاذ العمري عن سبب إقباله على المسلسل فيقول في لقائه على قناة صابر مشهور: "السرّ هو محاولة الانقلاب الآثم في تركيا بتاريخ: "2016/7/15م" ويتابع حديثه بقوله: "إنّه الحافز الأهم في تابوت الامتناع عن المسلسلات، فما سرّ هذا الحافز؟

في ليلة الانقلاب المشئوم عجبتُ من ارتفاع نغمة صوتية، كانت كأنّها ملحمة متشابكة الأحداث والأصوات على وقع أقدام زمان استدار لتوّه مهرولاً كأنَّ يوم الفصل قد حان. خرجت تلك النغمات

كالمدمع من سيارات الناس، وكزخات المطر على أرصفة الشوارع ومداخل المواصلات، وبوابة المطار. عرفت فيما بعد أنَّها مقدمة أو "تتر"مسلسل (قيامة أرطغرل). كما عرفت فيما بعد أنَّ هذا المسلسل بجزئيه اعتبر أحد العوامل الأساسية في يقظة الشعب التركي ومواجهة الوحدات الخائنة من العسكر بكل مجنزراتها و آلياتها ورصاصاتها الحية في ليلة الانقلاب البائس.

وكان صدى المسلسل حاضراً في أذهان وأرواح الشعب وكأنّهم أبطاله. أيعقل أن يكون هذا حقيقة ؟.

افترضت هذا الجواب الذي يؤكد الشعب التركي

عليه، وأنَّه تفوّق على أيٍّ مسلسل في تاريخ تركيا كلها، حيث تؤكد الإحصائيات أنَّ نسبة المشاهدة بلغت قرابة الأربعين مليوناً_كان ذلك لحظة التصريح_.

المسلسل من الناحية التاريخية الفنية السينمائية يعتبر أجود وأقوى مسلسل تاريخي مسلم على الإطلاق حيث اعتمد على (الخيال السينمائي) في توظيف أحداثه التاريخية القليلة عن شخصية (أرطغرل) والد مؤسس الدولة العثمانية(عثمان)والذي به سميت الدولة العثمانية.

لقد برع فريق الإنتاج في تفعيل كبرى اليقينيات

الإسلامية، وزرع القيم العليا، وبلورة منهجية الإسلام في فتوحاته.

◄المُشاهد للمسلسل عرف الدولة العثمانية والسلجوقية وعلاقتهما بالشام .

◄ وفي المقابل تعرَّف من خلاله على الدولة البيزنطية والحملات الصليبية، والحقد الصليبي الأسود الذي يحملونه في ذاكرتهم الشعبية.

كما تقول الأخت الكريمة والكاتبة المتميزة إحسان الفقيه في معرض الرد على الهستيريا الأوربية في وجه تركيا في مقال تحت عنوان:

"شكراً أوروبا.....شكراً أيّها الأعداء":

"يبدو أنَّ أوروبا قد سئمت من إخفاء وجهها العنصري القبيح، ونزعت عنها قناعها. وسقطت معه أكذوبة الديمقراطية الغربية حين وطئت شعارات التحضر والتمدن بالنعال!.

نعرف كما تعرف أوروبا أنَّ النظام الرئاسي سوف تكون له آثاره الإيجابية على وحدة البلاد واستقرار الحياة السياسية فيها بعد إنهاء ازدواجية السلطة...

كما نعرف وتعرف أوروبا أنَّ التعديلات الدستورية الجديدة تعتبر تحوُّلاً ديمقراطياً هاماً...

أوروبا التي تترنم بأنظمتها الديمقراطية تخندقت مع الجبهات التي تؤرقها التعديلات المنتظرة...

بل فقدت دول أوروبا توازنها على الصعيد الدبلوماسي الرسمي وقامت هولندا بمنع هبوط طائرة وزير الخارجية التركي.

لكننا مع ذلك نقول لأوروبا : شكراً..!

شكراً لأنَّ فاشيتكم هذه سوف تزيد الشعب التركي إصراراً على الالتفاف حول قيادته لإكمال المسيرة.

باركتم العام الماضي انقلاباً فاشلاً خرجت منه تركيا شامخة ...

شكراً أوروبا... لأنَّ الشعب التركي قد أدرك حجم التآمر عليه... وهو ما ظهر في التصريح الفاشي النازي للسياسي الهولندي اليميني "فيلدرز" الذي يُبدي نقمته على مؤيدي أردوغان قائلاً: "إلى كل الأتراك في هولندا المتفقين مع أردوغان: اذهبوا إلى تركيا ولا تعودوا مطلقاً ! ".

بعد ذلك قالت :

شكراً أوروبا لأنَّ هذه الخطوات المستبدة العنصرية سوف تستخرج من الشعب التركي أنفته العثمانية وهو يرى أمواج العداء الزاحفة من الشرق والغرب لتعيد

إلى عقليته صورة الصراع الحضاري فتثبّت قدمه عندما يعلم أنَّ قيادته قد وضعتْه على الطريق الصحيح . ".

بعد ذلك مباشرة قالت كلاماً يضع يده على صميم موضوعنا وهو علاقة مسلسل قيامة أرطغرل في كل ما يجري حول تركيا من أحداث و تحديات:

" مسلسل قيامة أرطغرل الذي أصبح حديث العالم العربي والإسلامي والذي يمثل أحد مظاهر القوة الناعمة التركية المؤثرة لم يعرض في تلك الفترة جزافاً فهو يجسِّد حالة العداء والتآمر في المنطقة على المحاولات الجادة لوضع أسس الدولة العثمانية الفتية

في إسقاط حقيقي على الواقع التركي الحالي حيث توضع أسس بناء تركيا الجديدة التي تأخذ مكانها بين الأمم بالتوازي مع الحفاظ على هويّتها وتراثها".

ثم ختمت الكاتبة بكلام جاء فيه :

"شكراً أوروبا لأنَّ هذه الإجراءات التعسفية وهذا العداء الظاهر لتركيا سوف يزيد من ارتباط العالم الإسلامي والعربي بالأتراك...

فشكراً أوروبا ..شكراً أيّها الأعداء[١]". ا.هـ

---

[١] كان ذلك من مقال للكاتبة الأردنية إحسان الفقيه جزاها الله عن الإسلام و المسلمين خيراً.

لقد أدرك المشاهد للمسلسل بوعيه الباطن والحاضر معنى الصراع والتآمر والتفكك والاستبداد،بل وأدرك خطر الصراع بين المسلمين على اختلاف قومياتهم وثقافاتهم حيث سلط المسلسل الضوء على الصراع بين الدولة السلجوقية والدولة الأيوبية وكيف صُبَّ ذلك في صالح الصليبيين وسائر أعداء المسلمين، كما تناول الحكام الخونة لذلك العصر وكيف كرَّسوا حالة الضعف في الأمة وكيف استفاد منها العدو القريب والبعيد، كما تناول اختراق العدو لصفوفنا الإسلامية من القبيلة حتى الدولة الكبيرة مروراً بالإمارة، كما لم

يقصر في التعرّض للخيانة داخل الصف الإسلامي وأثر ذلك في تفتيت عضد الأمة ومنع عودة قوتها من جديد على نحو ما ستتوسع به بإذن الله تعالى في الجزء الثاني من المقالة.

كتب هذه المقالة

محمد محيي الدين حمادة الدمشقي الميداني

نزيل المدينة المنورة [1].

[1] للتواصل وإبداء الآراء والملاحظات عبر البريد الالكتروني:

m-m-h65@hotmail.com